القصّة اللّوحة..

في مسوّدات محمود عبد الوهاب

هاشم تايه

القصة لدى محمود عبد الوهاب نتاج رؤية بصريّة خالصة، وتمثيل لهذه الرؤية باللغة... إنّه يرى فيكتب.. وعيناه هما اللتان تكتبان.. ومدار قصّته مشهد أو صورة يتمتعان بطاقة حياة تؤهلهما لينوبا عنه مُظهرَيْن قدراً ملحوظاً من الاستقلال عن إرادة القاص، ما يسبغ على قصّته سمة موضوعيّة..

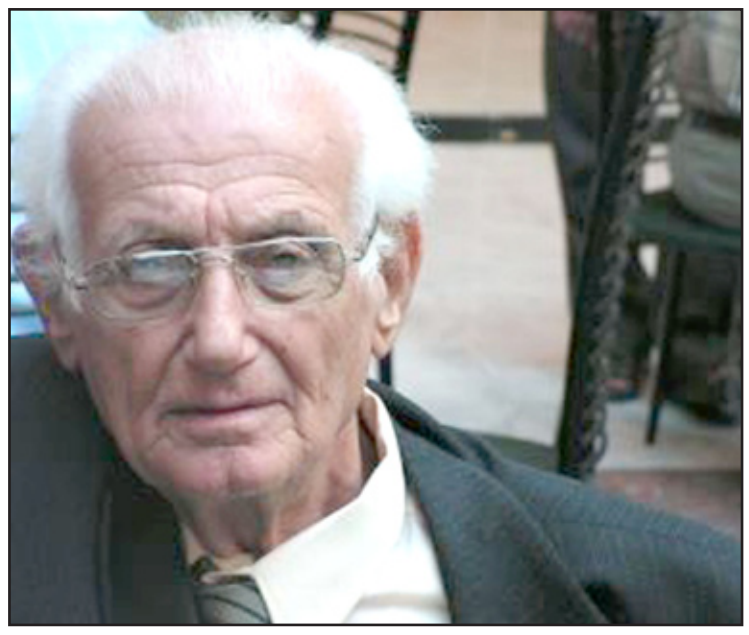

وربّما بسبب تعلّقه بالصورة غدت قصته تمامَ صورة، لا تطلب غير تمامها، في نصّ شديد التّركيز، مضغوط داخل إطار صورة مرسومة بأقلّ ما يمكن من المادة اللغويّة.. ومساحة قصته هي مساحة صورة، لا مساحة لغة، ولهذا تبدو مختزلة، ومنقّاة من الضجيج اللغوي الذي يبغضه محمود أشدّ البغض في القصّ.. وتظهر الصفحة التي يكتب عليها نصّه القصصي أقرب إلى سطح تصويريّ يرسم عليه القصّة/ الصورة، منها إلى صفحة مبسوطة لمادة لغوية..

إن المتعة الجماليّة، في قصصه، تتحقق بَصَريّاً، واعتماده الصّورة حرّره من العمل من خارجها، وجعل قصّته كصورة تنمو وتتسع بممكناتها الخاصّة، وبتكيّفات مادتها وعناصرها، بمعنى أن حياتها هي التي تصنع حياتها، وكأنّها تنجز نفسها بنفسها بعفوية واستقلال.

إنّ الهيئات التي يظهر بها الأشخاص، ومعالم الأشياء، وما تبدو عليه الأمكنة والفضاءات هي ما يجتذب إليه محمود عبد الوهاب ويطلق خياله، وقدراته على الخلق... وأظنّ أن اهتمامه بما يفعله شخوصه أو ما يقولونه أقلّ من اهتمامه الفائق بما يبدون عليه. وأعتقد أنّ المرئي، في وعي محمود عبد الوهاب، هو قصّة كامنة في العالم الخارجي يمكن اقتناصها ونقلها على ورق بأشكال من التحوير، أو الإضافة، أو الحذف.

يتمتع محمود بقدرة مدهشة على المراقبة والرّصد، وحشد شتات المرئيات أمام الوعي في تشكيل قابل للقراءة، وليس أدلّ على ذلك من اعتياده إطلاق تعليق على ما تراه عيناه بسرعة عجيبة..

ومثل مصوّر أو رسّام يُبدي محمود عبد الوهاب، في نصوصه كلّها، شغفاً بإنشاء جمالية جاذبة لمادته المرئية، إذ هو شديد العناية بتنظيم عناصرها وإعادة إنتاجها في تكوين أو شكل جاذبيْن، بحيث يُخيّل إليك، أحياناً، أنها مرسومة لذاتها، أو لنقل إنّ بالوسع اقتطاعها من النصّ اللغوي/ القصصي لتستقلّ بذاتها محتفظة بشخصيّة مميّزة...

ويبدو لي أنّ قصص محمود القصار الأربع التي أتحفنا بها بتوطئة آسرة، القاص محمّد خضيّر، ونشرتها (المدى) في ثقافية عددها ٢٤١٩ الصادر في العاشر من آذار هذا العام كمسودات قصصيّة، هي الشكل الطبيعي الذي ستؤول إليه القصة لدى محمود- لو أنّه بقي معنا في الحياة- في تطوّرها الأقصى الذي ستصير إليه، كقصّة تشكيليّة مرسومة باللّغة، قوامها صورة متوحّدة ملتمّة على تفاصيل بعينها، وسيكون الحدث فيها مضمراً متروكاً توقّعُهُ للقارئ الذي سيكون أمام مهمّة اقتراح حدث بالحدس، أو عبر تحريك تفاصيل الصورة وأطرافها إلى جهات بعينها، وبقصد غايات يدفعها إليها بموجّهات ما يراه. كأن محمود عبد الوهاب يندفع وهو يطوّر شكل قصّته فيخترع ما يمكن أن ندعوه القصّة اللّوحة التي تستبعد/ تعلّق الحدث الذي سيتولّى القارئ اختراعه، أو اكتشافه بمآلاته، وسيغدو هذا القارئ أقرب إلى مشاهد لوحة تشكيليّة- تشخيصيّة- لرسّام، رغب في أن يقصّ قصّة بالرسم فخذلته عناصر لغته البصريّة المجرّدة عن القدرة على التزمين.

وإذا جرى، اليوم، اعتبار هذه النصوص مجرّد مسودات قصصيّة، أو اسكتشات قصصيّة، فليس مستبعداً، في يوم ما، ترسّخُها كشكل جديد للقصّة القصيرَة.. ولقد حدث نظير ذلك في الفن عموماً، عبر تاريخه، إذ أنّ أشكالاً فنيّة ظهرت شاذة/ نابية خلال عمليات التخطيط الأولي، وإنجاز المسودات، أو خلال عمليات التدريب الفني المجرّدة من الهدف، لم تلبث أن حظيت بانبهار من المعنيين، ثمّ جرى تقليدها، بعدما أثبتت جدارتها الجماليّة، لتستقر أخيراً كشكل فني معترف به.

تتباين الصورة في هذه القصص/ اللوحات بين صورة مهيمنة واحدة، وصورة تتفرّع منها صور أخَر، أو تتضاعف. وبعض هذه الصور يتسم بطبيعة متحرّكة، في حين يبدو بعضها الآخر أقرب إلى هيئة ما يعرف في الرسم بطبيعة جامدة (still live).

أخيراً يمكن وضع القصص الأربع في ترتيب يعكس وجهتها صعوداً نحو خلق نموذجها الأمثل في (القصّة اللوحة) فتكون بهذا التسلسل:

١/ الجدار ٢/ سرير الرّجل العجوز ٣/ عطلة الأعزب ٤/ تلك اللّحظة، ماذا يفعل العالم..

مالك بن نبي يُرثي عبد السلام عارف !

محمد غازي الاخرس

قلت لكم مرة إنني لا أمل ولا أكل من الإقعاء بحثا عن الانتيكات الثقافية وغالبا ما أخرج وفي جعبتي شيء منها ، شيء قد يفطس المرء من الضحك على المفارقات التي يحويها .

قبل أسابيع مثلا عثرت على نسخ قديمة من مجلة (الأقلام) تعود لبدايات انطلاقها ومن بينها عدد أضحكني حدّ أنني لم أتمالك نفسي فبحثت عمن يشاركني المتعة ولم أجد سوى أم عيالي .

قلت لها . انظري لهذا العدد يا عزيزتي واحرزي لأيّ مناسبة خصصه المحررون ! وإذ لم تتفاعل بشكل جيد اضطررت لشرح الأمر فقرأت لها ما كتب على الغلاف ؛ الأقلام ، الجزء العاشر ، السنة الثانية ، حزيران ١٩٦٦ ، عدد خاص بمناسبة مرور أربعين يوما على استشهاد المشير الركن عبد السلام محمد عارف!

ثم قلت . لا عليك يا عزيزتي من هيئة التحرير التي كان من بينها شاذل طاقة وأحمد شاكر شلال وأحمد مطلوب ، بل انتبهي للفهرست في نهاية العدد وفيه كلمات لوفود من بلدان عربية وإسلامية كثيرة تتبعها قصائد رثاء كتبها شعراء عرب أستحي من ذكر بعض أسمائهم!

نعم ، لقد رثاه شاعر مثل حافظ جميل وآخر مثل عزيز أباظة وتغنّى بمآثره شاعر مثل علي أحمد باكثير وآخر كصالح جودة . لا بل أن مفكرا كبيرا مثل مالك بن بني قال فيه ؛ " باسم الجزائر العربية المسلمة التي أرادت أن تقف اليوم مع العروبة جنبا إلى جنب لتأبين الفقيد الكبير الجليل عبد السلام عارف أحيي روحه ، وأترحم عليه وأجدني هنا أود لو كنت شاعرا كمن سبقني لأطلق العنان لعواطفي ..) .

ليس هذا حسب بل أن مالك بن نبي يقول ؛ (وكما أننا نشعر أيضا أن الخبرات التي اكتسبها هذا الجيل الذي ترعرع الفقيد الكبير في صفوفه وجاهد في صفوفه هذه الخبرات الكبيرة جعلته كأنه الجسر الذي لا بد أن يعبره التاريخ لنقل المجتمع العربي من المستوى الذي وجد فيه نفسه في ربقة الاستعمار إلى مكان يحقق فيه كرامته ويحقق بفضل نضاله حقوقه أننا نرى أنفسنا في هذه المنصة مدينين إلى مثل هذا الفقيد العظيم ..) .

صدقوا ذلك ، المتحدث هنا هو مالك بن نبي لا غيره ، المفكر الإصلاحي العظيم الذي يعده المثقفون العرب واحدا من أهم دعاة الإصلاح الاجتماعي، هو ذاته صاحب (مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي) يطري عبد السلام عارف ويعدّه جسرا (تاريخيا) لنقل المجتمع العربي من مستوى إلى آخر أرقى .

الحق أنني حين قرأت المرثية التي تبدو من لغتها الركيكة مرتجلة وبنت لحظتها ، تذكرت النماذج المشابهة التي طالما صدمنا بها ابتداء من محمد عابد الجابري وجورج طرابيشي ، مرورا بإدوارد سعيد وأنسي الحاج وليس انتهاء بكمال أبو ديب وأدونيس ، فجميع هؤلاء المفكرين يبدون ضحايا مثاليين لازدواج لا حل له فهم يدعون ، في كتاباتهم وتنظيراتهم، لشيء ثم تفاجأ بمواقفهم السياسية التي تناقض كل ما يدعون له .

المفكر كنعان مكية تحدث عن مثل هذا الأمر في (القسوة والصمت)، كاشفا عن عورة كبار المثقفين العرب ، أولئك الذين أحرجتهم لحظة احتلال الكويت فتعروا بطريقة مخزية ووقفوا إلى جانب الطغيان وأعلنوا عن ذلك صراحة. والأنكى من ذلك أنهم تناسوا تلك اللحظة الفضائحية ولم يراجعوها بل أنهم اليوم يكررونها بحذافيرها في هذه التجربة (الربيعية) أو تلك. وهذا يدل دلالة لا لبس فيها أن أزمة المثقف العربي مستحكمة وهي لن تحلّ ما لم يغادرنا جيل الأحزاب والدولة الذي يقودنا منذ الستينيات وإلى اليوم .

في حفل التأبين نفسه يلقي إبراهيم مدكور كلمة مجمع اللغة العربية فيشيد بعارف ويصفه بـ(راعي المجمع) ثم يقرأ عزيز أباظة قصيدة يقول في بعض أبياتها ؛ (إيه يا عبد السلام يا قائم الليل قميئا للواحد الخلاق ..تتنزى على مصلاك كالمحموم من خشية ومن إشفاق ..بيديك التنزيل تنهل نور الله منه والدمع ملء المآقي) .

أما يوسف السباعي فيقول ؛ (وقام عبد السلام عارف يدافع عن العراق محنة البطش والإرهاب والإفساد ويرقأ الدم الطاهر الذي راح يهدر بلا حساب في أيام انحراف الثورة المجيدة التي قادها البطل في أيامها الأولى).

ماذا عن الدماء التي سفكها لاحقا؟

ماذا عن البلد الذي سلمه للأوباش والقتلة؟

ماذا عن .. ماذا عن؟

ماذا عن أعداد (الأقلام) الأخرى التي أضحكتني حد اللعنة يا أم العيال؟

" أقلية في خطر " في اتحاد الأدباء

أجراس تقرع تشجّع سامعيها على البقاء

محمود النمر

ضمن نشاطاته الأسبوعية المتنوعة ضيّف اتحاد الأدباء والكتّاب العراقيين الباحث سعد سلوم رئيس مؤسسة مسارات، لمناقشة الفيلم الذي أخرجته الدكتورة آمنة الذهبي " أقلية في خطر " وهو ليس الأول من سلسلة أفلام مؤسسة مسارات، فقد أنتجت العام الماضي فيلم "حرية مشروطة" الذي يتحدث عن تحديات حرية التعبير في عالم عراقي فانتازي يتحول فيه كل ما هو صلب إلى أثير، كما أنتجت هذا العام فيلم "شهرزاد صامتة" وهو وثائقي عن أوضاع وتحديات المرأة في عراق ما بعد العام ٢٠٠٣.

أدار الجلسة الناقد علي حسن الفواز الذي قال : إن دعوة هذا الفيلم فيها صدق وأمانة ولكن أيضا علينا أن ندعو الجميع ونعمل على صناعة الدولة ،إن الدولة هي التي ستحمي ،لايحمي بعضنا بعضاً وفق النوايا ووفق الأهواء ،الحماية ينبغي أن تكون حماية القانون والدستور وعلينا أن نعمل بتفعيل المؤسسات.

ثم تحدث الباحث سعد سلوم بعد عرض الفيلم وتسليط الضوء على فكرة الفيلم والظروف التي أحكمت سطوتها على الشارع العراقي وقال : ألم يأت لنا الوقت لكي نكون ،فسؤال الهوية مطروح منذ عام ٢٠٠٣ والى الآن لم يجب عليه بشكل مرضٍ ،الأقليات تهاجر ورأس المال ينضب ونحن مجرد مراقبين منفعلين وهذا أمر يدفعنا للتفكير .

الفيلم الوثائقي "أقلية في خطر" شرح التحديات التي تواجه مسيحيي العراق على خلفية من الهجوم الإرهابي في كنيسة سيدة النجاة. والأثر السلبي الذي تبع ذلك من تسارع وتيرة الهجرة وتحولها إلى هجرة جماعية واسعة.

وقد تناول الفيلم قصة عائلة مسيحية من الطبقة الوسطى وكيف أثر العمل الإرهابي في كنيسة سيدة النجاة على حياتها ومستقبلها وكيف تواجه التحديات اليومية بعد هذا الحادث.

ومن خلال قصة هذه العائلة يرسل الفيلم برسالة قوية عن تغير هوية البلاد وخطر تحولها إلى هوية أحادية، وهي بذلك تفقد ثروة نادرة من التنوع والتعدد، انه رأسمال حضاري لا يمكن تعويضه لأرض تعد منطلق الديانات الإبراهيمية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، فمن هذه الأرض انطلق النبي إبراهيم في رحلة غيّرت العالم القديم".

كما يرسم الفيلم من خلال اللقاء الذي يجمع رجلي دين شابين احدهما مسلم والآخر مسيحي (الأب أمير ججي) أفقا للمستقبل، حيث يقص الفيلم كيف يرى هذان الشابان مستقبل بلادهما من دون مسيحيين وكيف يؤكدان على أهمية التواصل بين النخب الدينية المسيحية والمسلمة .

ينتهي الفيلم بالأمل من انه " ما بين الخيال والواقع أجراس تقرع، تشجع سامعيها على البقاء ... وقد تشجع المهاجرين على العودة".

يذكر أن هذا الفيلم الذي أخرجته الدكتورة آمنة الذهبي ليس الأول من سلسلة أفلام مؤسسة مسارات، فقد أنتجت العام الماضي فيلم "حرية مشروطة" الذي يتحدث عن تحديات حرية التعبير في عالم عراقي فانتازي يتحول فيه كل ما هو صلب إلى أثير، كما أنتجت هذا العام فيلم "شهرزاد صامتة" وهو وثائقي عن أوضاع وتحديات المرأة في عراق ما بعد العام ٢٠٠٣.

كانت المداخلات كثيرة ومتعددة الرؤى والأفكار وكان أبرزهم الناقد فاضل ثامر ومراسل فضائية عشتار حسن فالح والناشط في حقوق الإنسان صباح شوكت عربو والمخرج السينمائي حسين السلمان والدكتور شاكر شاهين من الجامعة المستنصرية.

وأخيرا أعلن الأمين العام لاتحاد الأدباء ألفريد سمعان استنكاره هذه الأعمال المشينة التي تؤدي إلى التفرقة الوطنية ،وأشاد بهذا الفيلم وفكرته العميقة .

رحيل الفنان الفوتوغرافي علي طالب

بغداد / المدى

رحل يوم امس عن عالمنا الفنان الفوتوغرافي علي طالب بعد صراع مع مرض لم يمهله طويلا. ويعد الفنان طالب من الجيل الثالث من فناني الفوتوغراف الذين اكدوا حضوراً متميزاً في المشهد الفوتوغرافي العراقي من خلال اعماله التي تميزت بتوثيق تفاصيل الحياة العراقية خاصة خلال سني الحروب والحصار التي مرّ بها الوطن وكان له اسلوبه المتميز في اقتناص اللقطة المعبرة، فضلاً عن تنوع الافكار التي يعتمدها في التصوير.اقام الراحل عدداً من المعارض الشخصية داخل وخارج العراق، وسبق لـ(المدى) ان احتضنت احد معارضه العام الماضي.

حق الرد

ملتقى قصيدة النثر وغرابة الجاهل

كريم جخيور

في مقال السيد جاسم العايف، المنشور في (المدى) تحت عنوان (ملتقى قصيدة النثر.. شعار مستفز وملاحظات أخرى).

يستغرب السيد العايف أن يحمل الملتقى اسم الشاعر الكبير بدر شاكر السياب قائلا (لا ندري كيف ساغ لدى منظمي ملتقى معني بقصيدة النثر حصرا تسمية دورته الثانية باسم شاعر لم يعرف انه كتب قصيدة نثر واحدة وكان يكتب الشعر وفق البحور الشعرية الكلاسيكية المتعارف عليها، إلا عندما اتسعت رؤاه الشعرية وكان نظام القصيدة التقليدي المبني على أساس أبيات متعاقبة تنتهي بقافية موحدة وكل بيت مكون من شطرين) يا لهذا الاكتشاف النقدي العظيم الذي سيعيد النقاد والباحثين الى مقاعد الدراسة من جديد.

وحتى نفك طلاسم استغراب السيد العايف نقول له إن السياب واحد من أهم رواد الحداثة الشعرية وتحت اسمه تقام الكثير من الفعاليات الأدبية والثقافية وقد أقامت جامعة البصرة ملتقى السياب أسئلة السرد والرواية.

وأقام التونسيون ملتقاهم النثري تحت اسم أبي القاسم الشابي وفي واحدة من دورات مهرجان المربد الشعري كانت رئاسته للراحل الكبير محمود عبد الوهاب هذا من جانب، أما الجانب الآخر فكان من المقرر أن يكون موعد انعقاد الملتقى في شهر كانون الأول وهو ذكرى رحيل السياب، وتأخر تقديم الدعم حال دون ذلك.

أما الاستغراب الثاني للسيد العايف فهو شعار الملتقى (قصيدة النثر مستقبل الشعر العربي الحديث).

في حوار مع الشاعر محمود درويش قبل أربعين عاما وتحديدا في عام ١٩٧١، حيث عبّر عن تجربته الفنية الجديدة بعد صدور مجاميعه الجديدة مزامير وسرحان يشرب القهوة في الكافتريا إذ يقول (كنت شديد الحماس إلى عدم التنازل عن التفعيلة ولكن إيماننا بالحداثة، وقبولنا التنازل عن القافية قد يجرنا إلى التنازل عن التفعيلة أيضا ، وقد نستغني عنها في يوم من الأيام ، هذا إذا كنا نؤمن إن الشعر ليس بناء لغويا فقط وليس قاعدة مقررة، وإنما حالة شعرية والحالة الشعرية قد يكون أحسن التعبير عنها

كلمات لا تفعيلة لها).

ثم يضيف محمود درويش: (أنا شخصيا أحزن كثيرا عندما أتصور مستقبلا للشعر لا تفعيلة فيه ، ولكن حزني هذا قد يضحك الأجيال القادمة).

أعود الآن إلى السيد العايف الذي يبدو أنه ليس من الأجيال التي قصدها درويش ،لأقول له ما الفرق بين شعار الملتقى (قصيدة النثر مستقبل الشعر العربي الحديث) وما قاله الشاعر والرائي الكبير محمود درويش؟، مع هذا لم تقل الناقدة ريتا عوض ، التي أجرت الحوار مع درويش ،إن هذه المسألة تدخل ضمن التنبؤات المبنية على التمنيات أو توقعات المشتغلين بالفلك التي غالبا ما تكون مواعدهم للتسلية والفكاهة ومكانها عادة في الصفحة ما قبل الأخيرة وهي صفحة خاصة بالتسلية واللهو المجاني ولا علاقة لها بالأفق الثقافي كما قال الصحفي السيد العايف والفرق واضح جدا هو بين أن تكون جاهلا أو معرفيا.

ومن خلال شعار الملتقى اكتشف السيد العايف بوضوح لا لبس فيه عن الفقر والجهل والأمية الثقافية والتدني الفكري لمن طرح هذا الشعار، وهذا لم تكتشفه الناقدة والكاتبة ريتا عوض في ما طرحه محمود درويش عن مستقبل الشعر العربي وبالتأكيد أن هذا الاكتشاف سيسجل باسم العايف ضمن اكتشافات الألفية الثالثة فكم أنت مسكينة يا ريتا عوض.

ويقول العايف في مقاله ما أنقذ الملتقى الثاني لقصيدة النثر من التدهور والفشل المريع هو الحضور البهي والمساهمة الجادة للسادة الباحثين والنقاد ومعهم بعض الشاعرات المتميزات والشعراء.

وكان على السيد العايف أن يقول ، هذا إذا كان موضوعيا، لقد نجح الملتقى بهذا الحضور البهي والمساهمة الجادة للسادة الباحثين والنقاد ومعهم بعض الشاعرات المتميزات والشعراء.

ونقول للسيد العايف إذا كان شعار الملتقى تعبيرا عن جهل وأمية ثقافية وتدنٍ فكري، فلماذا يشارك فيه ويترأس إدارة إحدى الجلسات النقدية؟

وفي الختام نقول رحم الله الزبرقان بن بدر.